الباب الثالث

تحليل رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح

(دراسة تحليلية نفسية لسيغموند فرويد)

أ. ملخص الرواية

تركّز رواية موسم الهجرة إلى الشمال للكاتب الطيب صالح على موضوعات الهوية، وصدام الثقافات، والاستعمار، والأزمة النفسية للفرد في ظل التوتر بين الشرق والغرب. تدور أحداث الرواية في السودان، وبشكل خاص في قرية صغيرة على ضفاف نهر النيل، بينما تتنقل القصة في معظمها بين تلك القرية وتجارب الشخصية الرئيسية في أوروبا.

تبدأ القصة بعودة راوٍ مجهول الاسم إلى قريته في السودان بعد أن أنهى دراسته في إنجلترا لمدة سبع سنوات. هذا الراوي، وهو شاب مثقف وحديث، كان يأمل أن يجد قريته كما تركها من قبل، بسيطة، دافئة، مليئة بالتقاليد وروح الجماعة. لكنه سرعان ما أدرك أن الزمن قد غيّر أشياء كثيرة. أحد التغييرات الكبرى التي واجهها هو وجود رجل غامض يُدعى مصطفى سعيد. كان مصطفى سعيد شخصية مثقفة، ذات نزاهة، ويحظى باحترام كبير في القرية، لكنه كان يخفي العديد من الأسرار. ومع مرور الوقت، اكتشف الراوي أن مصطفى سعيد عاش لفترة طويلة في أوروبا، حيث بنى حياة مليئة بالطموح والحب والمآسي.

اعترف مصطفى للراوي بأنه كان طفلا معجزة وعبقريا في المجال الأكاديمي، وقد أُرسل إلى إنجلترا منذ صغره. وهناك، نجح في أن يصبح أكاديميا مشهورا في مجال الاقتصاد. ومع ذلك، لم تكن حياته في أوروبا مليئة بالإنجازات فقط، بل عاش اغترابا ثقافيا عميقا وسقط في نمط من العلاقات المدمرة مع النساء الأوروبيات. في تلك العلاقات، شعر مصطفى وكأنه ينفذ "انتقاما" من الاستعمار، وكأن من خلال إخضاعه للمرأة الغربية، كان يثأر للاضطهاد الذي عاناه شعبه. لكن هذه العلاقات انتهت بشكل مأساوي، حيث انتحرت بعض النساء اللاتي ارتبطن به، وفي النهاية قتل مصطفى إحدى عشيقاته. تمت محاكمته في محكمة إنجليزية وسُجن لعدة سنوات قبل أن يعود إلى السودان.

UIN IMAM BONJOL PADANG

بعد أن كشف مصطفى سعيد عن هذه القصة المظلمة، طلب من الراوي أن يحافظ على سرّ حياته. ولم يمض وقت طويل حتى اختفى مصطفى بشكل غامض، ويُعتقد أنه غرق في نهر النيل، تاركا الراوي في حالة من الحيرة والأزمة الوجودية. يسعى الراوي، في محاولته لفهم مصطفى سعيد وإيجاد مكان لنفسه في هذا العالم، إلى مواجهة أسئلة وجودية كبيرة حول الهوية، هل هو جزء من الشرق أم من الغرب؟ وكيف ينبغي للإنسان السوداني المعاصر أن يعيش في عالم لا يزال متأثرا بإرث الاستعمار؟

في نهاية المطاف، يواجه الراوي التوتر بين عالمين، تقاليد مسقط رأسه التي تقيّده، والعالم الغربي الذي يغريه ولكنه مدمّر. في المشهد الذروي، حين تجرفه تيارات نهر النيل، يصارع من أجل البقاء على قيد الحياة، في رمزية للصراع الوجودي بين الغرق في الفوضى أو اختيار الاستمرار في الحياة بوعي جديد.

ب. بنية شخصية الرئيسية

١. الهو (Id)

الهو هو جزء من الشخصية يحتوي على الدوافع اللاواعية مثل الشهوة والرغبة والغضب أو الرغبة في الحصول على المتعة فورا، دون اعتبار القواعد أو الواقع. أما الهو في شخصية الرئيسي في هذه الرواية وهو مصطفى، فيظهر في الأحداث التالية:

أ. دافع البحث عن الراحة والاحساس بالأمن

عندما يشرح مصطفى لشخصية أنا عن سبب مجيئه إلى القرية، كما قال مصطفى:

> "كنت طول حياتي أشتاق للاستقرار في هذا الجزء من القطر، لا أعلم السبب، وركبت الباخرة، وأنا لا أعلم وجهتي."[٤٩]

يشير هذا الاقتباس إلى وجود دافع الهو في نفس مصطفى. إن شوق مصطفى للاستقرار في مكان ما هو تعبير عن الهو الذي يرغب في الأمان والراحة. هذا الدافع

[٤٩] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٣.

ينشأ بشكل طبيعي في نفس مصطفى دون أن يمكن تفسيره منطقياً. عندما يقول مصطفى إنه لا يعرف لماذا يشعر بذلك الشوق، فإن هذا يدل على أن هذا الشعور نابع من اللاوعي، وهو جزء من الهو. إنه لا يحتاج إلى سبب منطقي لرغبته في شيء ما، لأنه يركّز على تلبية حاجاته الأساسية. ثم إن قرار مصطفى بركوب السفينة دون هدف يعبّر أيضًا عن دافع الهو ذي الطبيعة الاندفاعية، الذي يسعى إلى الإشباع الفوري دون تخطيط مسبق. إن الهو في شخصية مصطفى في هذا الاقتباس يصوّر الدافع الإنساني البدائي وغير الواعي نحو تحقيق الإشباع النفسي، والذي يتجلّى في شوقه إلى مكان إقامة دائم وفي سلوكه الاندفاعي نحو السفر.

ب. أنانية

الأنانية صفة في الإنسان يقدِّم بها مصلحته الخاصة ويهتم بنفسه دون أن يراعي مصالح أو مشاعر الآخرين. في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، يُصوَّر مصطفى بأنّه يمتلك صفة الأنانية كما يتجلّى في الحدث الآتي:

عندما بدأ مصطفى يدرك ذكاءه في المدرسة ويظهر موقفا باردا ومنفصلا عن البيئة الاجتماعية وقال مصطفى:

"أقرأ الكتاب فترسخ جمله في ذهني ما ألبث أن أركز عقلي في مشكلة الحساب حتى تتفتح لي مغالقها، تذوب بين يدي كأنها قطعة ملح وضعتها في الماء. تعلمت الكتابة في إسبوعين، وانطلقت بعد ذلك لا ألوي على شيء عقلي كأنه مدية حادة، تقطع في برود وفاعلية. لم أبال بدهشة المعلمين وإعجاب رفقائي أو حسدهم. كان المعلمون ينظرون إلي كأنني معجزة، وبدأ التلاميذ يطلبون ودي، لكنني كنت مشغولاً بهذه الآلة العجيبة التي أتيحت لي. وكنت باردا كحقل جليد، لا يوجد في العالم شيء يهزني."[٥٠]

في الاقتباس اعلاه يتبين أن مصطفى تهيمن عليه الهو. منذ الصغر كان لديه دافع قوي للسيطرة على كل شيء والتغلب عليه بسرعة دون النظر الى البيئة المحيطة به. كان

[٥٠] طيب صالح، المراجع السابق.، ص.٢٣ و ٢٤.

UIN IMAM BONJOL PADANG

مصطفى يفهم الجمل من الكتب ويحل المسائل الرياضية كانه بلا جهد. عندما قال ان اسرار الرياضيات تذوب في يديه كالملح في الماء فهذا يدل على انه يملك دافعا قويا لقهر تحديات ذكائه بطريقة سريعة ومؤكدة. كما وصف كيف تطور بسرعة في قدرته على الكتابة في اسبوعين فقط ودون النظر الى الخلف. هذا يظهر كيف يعمل دافع الهو بطريقة اندفاعية ولا يهتم الا بنفسه. لم يبال لدهشة المعلمين او اعجاب الاصدقاء او حتى حسدهم له.

اعتمد مصطفى اعتمادا كاملا على القدرة الاستثنائية التي يملكها وهي عقله الذي استخدمه بحدة وحسابات دقيقة لتلبية الدافع نحو الهيمنة والتفوق. وبذلك يظهر هذا الاقتباس انه في المرحلة المبكرة من حياته كان مصطفى يتحرك بدافع قوي من الهو. كان يسعى وراء الانجازات وهيمنة ذكائه ليس بسبب دافع اخلاقي او تكيف اجتماعي وانما بسبب دافع فطري من داخله ليكون استثنائيا دون الاكتراث بالبيئة او المعايير او تاثيره على الاخرين

عندما كان مصطفى يروي قصة حياته لشخصية أنا، في الوقت الذي كان يُعان فيه من قبل الأشخاص من حوله:

> "وهذه حقيقة في حياتي، كيف قيضت الصدف لي قوما ساعدوني وأخذوا بيدي في كل مرحلة، قوما لم أكن أحس تجاههم بأي إحساس بالجميل، كنت أتقبل مساعداتهم، كأنها واجب يقومون به نحوي"[٥١]

عندما قال مصطفى إنه "لم أكن أحس تجاههم بأي إحساس بالجميل، كنت أتقبل مساعداتهم" بل كان "كنت أتقبل مساعداتهم، وكأنّها واجب يقومون به نحوي،" فإنّه يُظهر أنّ المساعدة في نظره لم تكن كرماً أو إحساناً ينبغي شكره، بل شيئاً يجب أن يناله. يظهر الهو عند مصطفى في هذا الاقتباس من خلال اعتقاده اللاواعي بأنّ العالم ومن حوله موجودون لخدمته ودعمه. لم يُظهر أيّ تعاطف أو احترام للمساعدة التي تلقّاها، بل شعر

[٥١] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٢٤.

بأنّه يستحقّها دون أن يشعر بضرورة ردّ الجميل أو شكر من قدّمها. يُصوّر هذا الاقتباس هيمنة الهو بقوّة على شخصية مصطفى، حيث لم يتمكّن من تنمية مشاعر أخلاقية أو تعاطف أو شكر تجاه من ساعده، بل رأى المساعدة شيئاً ينبغي أن يُمنح له دون أن يترتّب عليه أيّ التزام مقابل.

ت. الرغبة الجنسية تجاه النساء

يُصوِّر اعتراف مصطفى سعيد عن حياته في لندن، حين ظهر في الأوساط الفكرية بصفته شخصًا ذكيًّا وذا هيبة، لكنّه في الحقيقة استغلّ ذلك الدور لإشباع رغباته الشخصية تجاه النساء:

"كانت لندن خارجة من الحرب ومن وطأة العهد الفيكتوري. عرفت حانات تشلسي، وأندية هامبستد ومنتديات بلومزبري، أقرأ الشعر، وأتحدث في الدين والفلسفة. وأنقد الرسم، وأقول كلاما عن روحانيات الشرق. أفعل كل شيء حتى أدخل المرأة في فراشي. ثم أسير إلى صيد آخر، لم تكن في نفسي قطرة من المرح، كما قالت مسز روبنسن جلبت النساء إلى فراشي من بين فتيات جيش الخلاص، وجمعيات الكويكرز ومجتمعات الفابيانيين."[٥٢]

UIN IMAM BONJOL PADANG

في هذا الاقتباس، يصف مصطفى حياته في لندن التي تخضع بالكامل لرغبته الجنسية التي تمثل دافع الهو. يقول " أفعل كل شيء حتى أدخل المرأة في فراشي. ثم أسير إلى صيد آخر." هذه الجملة تظهر ان ما يفعله ليس تعبيرا عن المحبة او الحاجة العاطفية، بل تفريغ لرغبة قوية لا تشبع ابدا. يذكر ايضا ان روحه " لم تكن في نفسي قطرة من المرح" مما يدل على انه رغم اشباع رغبته، فإن ذلك لا يمنحه السعادة الحقيقية. هذا لان دافع الهو يركز فقط على المتعة اللحظية دون معرفة المعنى او الحدود او المسؤولية.

كان يتخفّى في نقاشات حول الشعر والدين والروحانية والفلسفة، لكن كل ذلك لم يكن إلا وسيلة لإشباع شهوته الجنسية، لا تعبيرًا عن قيم أخلاقية أو فكرية. لذا، في هذا

[٥٢] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٣٠.

السياق، كان مصطفى خاضعًا بشكل كامل لهوى الهو، مدفوعا بالرغبة الجنسية، والسيطرة على جسد المرأة، والسعي وراء اللذة دون تعاطف أو مسؤولية.

عندما كان مصطفى يتأمل في علاقته الماضية مع آن همند:

"أي شيء جذب آن همند إلي؟ أبوها ضابط في سلاح المهندسين وأمها من العوائل الثرية في ليفربول، كانت صيدا سهلا، لقيتها وهي دون العشرين تدرس اللغات الشرقية في أكسفورد. كانت حية، وجهها ذكي مرح وعيناها تبرقان بحب الاستطلاع رأتني فرأت شفقا داكنا كفجر كاذب كانت عكسي تحن إلى مناخات إستوائية، وشموس قاسية، وآفاق أرجوانية. كنت في عينها رمزا لكل هذا الحنين. وأنا جنوب يحن إلى الشمال والصقيع آن همند قضت طفولتها في مدرسة راهبات. عمتها زوجة نائب في البرلمان. حوّلتها في فراشي إلى عاهرة."[٥٣]

إن مصطفى في هذا الإقتباس يُظهر كيف أن شهوته وإشباعه الجنسي يسيطران على نظرته تجاه المرأة. إنه ينظر إلى آن هاموند ليس كإنسان كامل، بل "كانت صيدا سهلة"، أي كشيء يمكن إخضاعه. تُوصف آن كامرأة شابة، بريئة، مفعمة بالحيوية وما زالت في مرحلة البحث عن هويتها، لكن هذا بالذات هو ما يجعل مصطفى يتخذها هدفاً له. لا يتردد مصطفى في أن يصرح بأنه جعل آن "عاهرة في فراشي". هذا التصريح يعكس قمة هيمنة الهو في شخصيته. إنه لا يقتصر على الإخضاع الجسدي فحسب، بل يدمر أيضاً صورة وشرف شخص آخر من أجل إشباع غريزته الجنسية. لا يوجد هناك حب أو تعاطف أو ندم، بل مجرد إشباع للشهوة والسيطرة على جسد وكرامة المرأة.

عندما كان مصطفى يُناجي نفسه في داخله، واصفًا علاقته السرية مع شيلا غرينوود والآثار السلبية التي ترتبت عليها:

"من كان يظن أن شيلا غرينود تقدم على الانتحار؟ خادمة في مطعم في سوهو بسيطة حلوة المبسم حلوة الحديث. أهلها قرويون من ضواحي هل. أغريتها بالهدايا والكلام المعسول، والنظرة التي ترى الشيء فلا تخطئه جذبها عالمي الجديد عليها. دوختها رائحة

[٥٣] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٣١.

UIN IMAM BONJOL PADANG

الصندل المحروق والند، ووقفت وقتا تضحك الخيالها في المرآة، وتعبث بعقد العاج الذي وضعته كأنشوطة حول جيدها الجميل دخلت غرفة نومي بتولا بكرا، وخرجت منها تحمل جرثوم المرض في دمها ماتت دون أن تنيس بينت شفة."[٥٤]

هذا الاقتباس يصور الجانب المظلم في شخصية مصطفى الذي تهيمن عليه دوافع الهو. في قصته مع شيلا غرينوود، لا يظهر مصطفى الحب او الاخلاص. بل يتعمد السعي لجذب وتسخير تلك المرأة بالمدح والهدايا والنظرات الحادة التي يعرف انها ستجعل شيلا منجذبة. هذا يظهر ان مصطفى ينظر الى المرأة ليس كانسان كامل، بل فقط كأداة لاشباع رغبته.

العالم الجديد الذي جلبه وهو عالم الشرق الغريب برائحة الصندل والعود، استخدمه مصطفى كأداة لافتتان شيلا، حتى فقدت تلك المرأة عقلها وانجذبت بالكامل الى مصطفى. تركها تغرق في ظلال التميز، حتى استسلمت في النهاية بشكل كامل. الجملة " دخلت غرفة نومي بتولا بكرا، وخرجت منها تحمل جرثوم المرض في دمها" تظهر ليس فقط الفعل الجنسي، بل ايضا العواقب المأساوية لتلك العلاقة. الجنسانية المدفوعة بالهو في شخصية مصطفى انتهت بالدمار الجسدي والنفسي للمرأة التي اصبحت ضحيته.

عندما كان مصطفى يتذكّر لقائه الأول مع امرأة أجنبية في حديقة هايد بارك في لندن:

"وصلت ركن الخطباء في الحديقة هايد بارك، كان غاصا بالخلق. وقفت عن بعد أستمع إلى خطيب من جزر الهند الغربية يتحدث عن مشكلة الملونين. استقرت عيناي فجأة على امرأة تشرئب بعنقها الرؤية الخطيب، فيرتفع ثوبها إلى ما فوق الركبتين، مظهرًا ساقين ملتفتين من البرونز، نعم هذه فريستي. وسرت إليها، كالقارب يسير إلى الشلال. ووقفت وراءها، والتصقت حتى أحسست بحرارتها تسري إلي. وشممت رائحة جسدها، تلك الرائحة التي استقبلتني بها مسز روبنسون على رصيف محطة القاهرة."[٥٥]

---

[٥٤] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٣٤.

[٥٥] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٣٦.

UIN IMAM BONJOL PADANG

هذا الاقتباس يظهر ان مصطفى يملك دافع الهو القوي جدا والعفوي، وغير مصحوب بالاعتبار الاخلاقي او الوعي الاجتماعي. عند رؤية تلك المرأة، سيطرت الرغبة على تفكيره فورا. جملة " نعم هذه فريستي " تظهر انه لا يرى تلك المرأة كانسان متساو، بل كموضوع لاشباع الشهوة. التشبيه " كالقارب يسير إلى الشلال " يؤكد ان فعله اندفاعي تماما وبلا سيطرة يتبع فقط تيار رغبته. فعل عناق المرأة الغريبة من الخلف في المكان العام، ووصف الجسد والعطر الحسي لتلك المرأة، يصور ايضا فقدان السيطرة على النفس وعدم اكتراث مصطفى بالمعايير الاجتماعية. هذا الاقتباس يظهر الجانب الاكثر عفوية وعدم سيطرة في شخصية مصطفى. ترك نفسه تحت سيطرة الشهوة والرغبة في السلطة على جسد المرأة.

٢. الأنا (Ego)

يعمل الأنا كوسيط بين الدوافع الغريزية من الهو والقواعد الاجتماعية التي يمثلها الأنا العليا. يعمل الأنا وفقاً لمبدأ الواقع ويتولى مهمة تكييف الرغبات الداخلية مع الظروف البيئية. أما الأنا في شخصية الرئيسي في هذه الرواية وهو مصطفى، فيظهر في الأحداث التالية:

UIN IMAM BONJOL PADANG

أ. واقعي وقادر على اتخاذ القرار

عندما جرى الحوار الأوّل بين مصطفى والشخصية أنا، سخر مصطفى من تعليم شخصية أنا، لكنَّه مع ذلك أظهر موقفًا لطيفًا ترك انطباعًا غريبًا:

"قالوا إنك نلت شهادة كبيرة. ماذا تسمونها ؟ الدكتوراه؟ يقول لي ماذا تسمونها ؟ لم يعجبني ذلك. فقد كنت أحسب أن الملايين العشرة في القطر كلهم سمعوا بانتصاري. " يقولون إنك لامع منذ صغرك". "العفو". هكذا قلت لكنني، والحق يقال، كنت تلك الأيام مزهوا بنفسي، حسن الظن بها. "دكتوراه؟! هذا شيء كبير".فقلت له، وأنا أتصنع التواضع، إن الأمر لا يعدو أنني قضيت ثلاثة أعوام، أنقب في حياة شاعر مغمور من شعراء الإنجليز. واغتظت، لا أخفي عليكم أنني اغتظت، حين ضحك الرجل ملء

وجهه، وقال: "نحن هنا لا حاجة لنا بالشعر. لو أنك درست علم الزراعة أو الهندسة أو الطب، لكان خيرا". انظر كيف يقول "نحن ولا يشملني بها، مع العلم بأن البلد بلدي، وهو – لا أنا – الغريب. لكنه ابتسم في وجهي برقة، ولاحظت كيف طغى الضعف في وجهه على القوة، وكيف أن عينيه في الواقع جميلتان كعيني أنثى.[٥٦]

تظهر الأنا لدى مصطفى في هذا الاقتباس من خلال طريقته في التفاعل مع شخصية أنا. عندما قال مصطفى: "دكتوراه؟ هذا شيء كبير"، فإن هذا يدل على أن الأنا تستجيب للواقع الاجتماعي من حوله. يعترف مصطفى بإنجازات شخصية أنا التعليمية، ويُظهر بذلك قدرته على تقدير إنجازات الآخرين. ومع ذلك، فإن الأنا لدى مصطفى تُظهر جانبًا أكثر تعقيدًا عندما ضحك بصوت عالٍ وقال: " نحن هنا لا حاجة لنا بالشعر. لو أنك درست علم الزراعة أو الهندسة أو الطب، لكان خيرا". تشير هذه العبارة إلى أن الأنا تعمل للحفاظ على القيم ووجهات النظر التي يعتبرها عملية وواقعية. تحاول الأنا لدى مصطفى التكيف مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، حيث تُقدَّر الأمور العملية أكثر من الفن أو الأدب.

UIN IMAM BONJOL PADANG

في هذا الاقتباس، يتأثر مصطفى أكثر بالأنا. فهو لم يُثنِ حقًا، بل قلل من شأن إنجازات شخصية أنا بعد ذلك. ومع ذلك، بقي هادئًا ومبتسمًا، ولم يغضب أو ينفعل. وهذا يدل على أنه كان واعيًا لما قاله، وتعمد أن يعبّر عنه بطريقة لطيفة حتى لا يبدو فظًا، رغم أن كلامه لا يخلو من السخرية.

عندما كان مصطفى يشرح أصل مجيئه إلى القرية التي يسكن فيها الشخصية أنا:

"كنت في الخرطوم أعمل في التجارة. ثم لأسباب عديدة، قررت أن أتحول للزراعة."[٥٧]

في هذا الاقتباس، يتضح أن مصطفى كان مهيمنا عليه بالأنا. ففي هذه الحالة، لا يبدو أنّ مصطفى يتصرف باندفاع، بل من خلال عملية تفكير عقلانية. لقد أدرك

---

[٥٦] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١١ و ١٢.

[٥٧] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٣.

أن عمله في مجال التجارة لم يعد مناسبًا لظروفه، فقرّر أن ينتقل إلى الزراعة. إنّ قرار مصطفى بالانتقال من التجارة إلى الزراعة يُظهر أنّه قادر على التفكير المنطقي والواقعي. فهو لا يتصرّف بدافع عاطفي أو رغبة لحظية، بل بعد تفكير واعٍ في خطوته. وهذا يعني أنّ الأنا بداخله تؤدّي وظيفتها في التكيّف مع الواقع والبيئة المحيطة. وهكذا، يُصوّر هذا الاقتباس كيف يعمل الأنا في نفس مصطفى كمنظّم ومتحكّم في اتخاذ القرارات العقلانية المبنيّة على واقع الحياة.

ب. هادئ و متحكم ومليء بالحساب

عندما بدأ الشخصية أنا يشك في هوية مصطفى، بعد ان قرأ مصطفى شعر باللغة الانجليزية، لكن مصطفى أجاب بهدوء وتجنَّب الموقف بحجة لطيف :

"فقلت له بالإنجليزي، عمدًا: "شيء مدهش". فنظر إلي "هل أنستك إقامتك الطويلة في إنجلترا العربي، أم تحسب أننا خواجات؟ " قلت له: "لكنك ليلة أمس قرأت الشعر باللغة الإنجليزية". غاظني صمته. فقلت له: "من الواضح أنك شخص آخر غير ما تزعم. من الخير أن تقول لي الحقيقة". لم يبد عليه أي تأثر بالتهديد الذي ضمنته كلامي، ومضى يحفر حول الشجرة. ولما فرغ من حفره، قال وهو ينفض الطين عن يديه دون أن ينظر إلى: "لا أدري ماذا قلت وماذا فعلت في الليلة الماضية. السكران لا يؤاخذ على كلامه. إذا كنت قلت شيئًا، فهو كخطرفة النائم، أو هذيان المحموم. ليست له قيمة. أنا هو هذا الشخص الذي أمامك، كما يعرفه كل أحد في البلد. لست خلاف ذلك، وليس عندي شيء أخفيه".[٥٨]

يعكس هذا الاقتباس سيطرة الأنا في نفس مصطفى. فقد أظهر سلوكًا هادئًا ومتحكمًا عندما واجه شخصية أنا التي هدّدته قائلًا إنّ مصطفى شخص مختلف عمّا ادّعاه من قبل .لم يردّ مصطفى بغضب، ولم يدافع عن نفسه بشكل مفرط. بل على العكس، تهرّب بلطف قائلاً إنّ ما قاله في الليلة الماضية ليس إلاّ هذيان سكير أو خطرفة

[٥٨] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٧.

UIN IMAM BONJOL PADANG

النام. كانت تلك العبارة بمثابة درع يحميه من تحمّل المسؤولية عن كلامه في الليلة السابقة، بما في ذلك عندما ألقى قصيدة باللغة الإنجليزية.

كان جواب مصطفى الهادئ والذي بدا وكأنّه يريد التهرّب، يعكس دور الأنا في داخله التي تسعى إلى الحفاظ على التوازن النفسي. فقد اختار ألا يُكمل الجدال أو يُضخّم المشكلة التي قد تؤدي إلى صراع. ومع ذلك، فإنّ هذا السلوك يدل أيضًا على أنّ مصطفى يحاول إخفاء أمور يصعب عليه الاعتراف بها، أو جوانب من نفسه لا يريد كشفها. ومن خلال هذا التصرف، كان مصطفى يحمي نفسه من الضغط العاطفي بطريقة لطيفة ومضبوطة.

عندما دعا مصطفى الشخصية أنا للحديث بشكل خاص وشعر الشخصية أنا ان مصطفى سيكشف عن ماضيه:

> "لم يطل انتظاري، فقد جاءني مصطفى عشية ذلك اليوم وجد أبي وأخوي أيضًا، فقال إنه يريد أن يحدثني على انفراد، قمت معه، فقال لي: "هل تحضر إلى بيتي مساء غد ؟ أريد أن أتحدث إليك". ولما عدت سألني أبي: "ماذا يريد مصطفى؟"، فقلت له إنه يريدني أن أفسر له عقدًا بملكية أرض له في الخرطوم. رحت إليه عند المغيب، فوجدته وحده أمامه آنية شاي. عرض علي الشاي فأبيت. فقد كنت في الحقيقة أتعجل سماع القصة. لا بد أنه قرر أن يقول الحقيقة. أعطاني سيجارة فقبلتها."[٥٩]

يُظهر هذا الاقتباس دور الأنا في نفس مصطفى، فقد بدا أنّه يسيطر على الموقف بهدوء وتخطيط. اختار الوقت والطريقة المناسبين لدعوة شخصية أنا بشكل شخصي، إذ جاء مباشرة إلى المنزل عندما كان والد وشقيق الشخصية موجودين، لكنه طلب التحدث على انفراد. وهذا يدلّ على وعيه بالقيم الاجتماعية ومعرفته بأساليب التواصل المهذّبة واحترامه لعائلة الشخصية أنا.

---

[٥٩] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٨.

UIN IMAM BONJOL PADANG

إن دعوة مصطفى للراوي إلى بيته في الليل تُظهر أيضًا أنه اختار اللحظة والمكان الأنسب لتوصيل أمر مهم. لم يقل ما يريد في مكان عام أو أمام الآخرين، بل رتّب الحديث ليكون في جوّ مغلق وهادئ. وهذا يدل على أن الأنا لديه كانت تخطّط لأفضل وسيلة للبوح بنفسه دون أن تثير صراعًا أو سوء فهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن تصرفاته الحذرة، مثل تقديم الشاي، ومنحه سيجارة، وخلق جوّ من الألفة، كلها جزء من عمل الأنا، إذ تدير العلاقات الشخصية بهدوء وعقلانية وتوجيه واضح.

عندما كان مصطفى يستعد لكشف سرّ ماضيه لشخصية أنا ليضع حدًا الشخصية أنا:

"سأقول لك كلاما لم أقله لأحد من قبل، لم أجد سببا لذلك قبل الآن قررت هذا حتى لا يجمع خيالك وأنت درست الشعر".[٦٠]

تظهر عبارة مصطفى أنه قد فكّر بوعي في التوقيت والسبب والظرف قبل أن يكشف السرّ الذي أخفاه طوال هذه المدة. وقد صرّح بأنه لم يكن هناك سبب للحديث عن ذلك سابقًا، لكنه قرّر الآن أن يفعل. وكلمة "قرّر" هنا مهمة جدًا، لأنها تدلّ على وجود عملية تفكير عقلانية وتقدير منطقي، وهذا هو الدور الأساسي للأنا، الذي يعمل وفقًا لمبدأ الواقع.

في هذا السياق، لم يُفصح مصطفى عن سرّ ماضيه بدافع اندفاعي، كما أنه لم يكن تحت ضغط أخلاقي شديد أو بدافع من الشعور بالذنب. بل على العكس، لقد كشف عن سره لأنه رأى أن الوقت مناسب، ولأنه شعر بأن شخصية أنا لديهه "خيال" يجب تصحيحها. بعبارة أخرى، كان الأنا لدى مصطفى يعمل على التحكم في معلوماته الشخصية، فاختار بعناية متى ولمن يبوح بالحقيقة، وكيف سيكون تأثير ذلك على علاقته

[٦٠] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٨.

UIN IMAM BONJOL PADANG

الاجتماعية بشخصية أنا. وهذا يدل على أنه لم يكن خاضعًا فقط للعواطف، بل استخدم وعيه الكامل لقول ما كان يخفيه طوال هذا الوقت.

ج. ذكيّ وواقعيّ وعفويّ.

عندما روى مصطفى لشخصية أنا عن فترة مراهقته العبقرية حتى تم إرساله إلى القاهرة لمتابعة دراسته:

> "طويت المرحلة الأولى في عامين، وفي المدرسة الوسطى اكتشفت الغازا أخرى، منها اللغة الإنجليزية. فمضى عقلي يعض ويقطع كأسنان محراث الكلمات والجمل تتراءى لي كأنها معادلات رياضية، والجبر والهندسة كأنها أبيات شعر العالم الواسع أراه في دروس الجغرافيا، كأنه رقعة شطرنج. كانت المرحلة الوسطى أقصى غاية يصل إليها المرء في التعليم تلك الأيام. وبعد ثلاثة أعوام، قال لي ناظر المدرسة، وكان إنجليزيا: "هذا البلد لا يتسع لذهنك، فسافر. اذهب إلى مصر أو لبنان أو إنجلترا. ليس عندنا شيء نعطيك إياه بعد الآن". قلت له على الفور: "أريد أن أذهب إلى القاهرة." [٦١]

إنّ قرار مصطفى في متابعة تعليمه إلى القاهرة يُعبّر عن هيمنة الأنا، ومع ذلك لا يخلو من تأثير الهو. فقد أدرك بعقله أن النظام التعليمي في بلاده لم يعد قادرًا على تلبية احتياجاته. وقد تعزز هذا الإدراك بقول مدير المدرسة: "هذا البلد لا يتسع لذهنك"، ونصحه بمتابعة تعليمه في مصر أو لبنان أو إنجلترا. واستجابة مصطفى السريعة لهذا الوضع من خلال اتخاذ قرار متابعة الدراسة تُظهر دور الأنا في شخصيته. غير أن إجابته العفوية: "أريد أن أذهب إلى القاهرة"، دون تأمل طويل في الخيارات الأخرى المطروحة، تدل على وجود دافع من الهو في داخله. فهو لم يُفكّر بعقلانية في مصر أو لبنان أو إنجلترا، بل اختار القاهرة مباشرة، وكأنه يستجيب لدافع داخلي غير واعٍ تمامًا.

---

[٦١] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٢٤.

يعكس قرار مصطفى في هذا الموضع ديناميكية العلاقة بين الأنا والهو. فالأنا يوجه السلوك بناءً على الواقع والمنطق، بينما يظل الهو حاضرًا في شكل دوافع غريزية ذات طابع شخصي وعاطفي. إنّ تفاعل هذين الجانبين يُشكّل قرارات مصيرية في حياة مصطفى، وهي قرارات ليست عقلانية تمامًا، لكنها تنبع من وعيه بحدود الوضع الذي يعيشه.

د. يقدّم المصلحة المشتركة

عندما روى محجوب عن مساهمة مصطفى الكبيرة في مشروع القرية وتذكّره كشخص كان مفيدًا ومحترمًا للغاية:

"وسألت محجوب عن مصطفى سعيد فقال: "رحمه الله. كان يحترمني وكنت أحترمه. لم تكن الصلة بيننا وثيقة أول الأمر. ولكن عملنا معا في لجنة المشروع قرب بيننا. موته كان خسارة لا تعوض هل تعلم، لقد ساعدنا مساعدة قيمة في تنظيم المشروع. كان يتولى الحسابات. خبرته في التجارة أفادتنا كثيرًا. وهو الذي أشار علينا باستغلال أرباح المشروع في إقامة طاحونة للدقيق. لقد وفرت علينا أتعابا كثيرة، وأصبح الناس اليوم يجيئونها من أطراف البلد. وهو الذي أشار علينا أيضًا بفتح دكان تعاوني. الأسعار الآن عندنا لا تزيد على الأسعار في الخرطوم. زمان. كما تعلم، كانت البضائع تأتي مرة أو مرتين في الشهر بالباخرة." [٦٢]

UIN IMAM BONJOL PADANG

في هذا الاقتباس، يُصوَّر مصطفى كشخص يفكر بعقلانية ويتصرف بناءً على احتياجات المجتمع الحقيقية. لقد شارك بشكل مباشر في مشروع القرية وقدم اقتراحات مفيدة، مثل بناء مطحنة للدقيق وفتح متجر تعاوني لجعل أسعار السلع أكثر قدرة على التحمل. إن سلوكه وتصرفاته تدل على أن مصطفى كان قادرًا على استخدام عقله بهدوء وتنظيم. لم يتبع رغبات آنية، ولم يكن متمسكًا بالقواعد الأخلاقية بشكل صارم، بل تكيّف مع الواقع المحيط به. كان يعلم ما يجب عليه فعله، وكان يقوم به بهدف واضح من أجل المصلحة العامة. وهذا يعكس أن مصطفى كان تحت سيطرة الأنا.

---

[٦٢] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٩٢.

٣. الأنا العليا (Superego)

الأنا العليا هي جزء من الشخصية تمثل الصوت الأخلاقي والقيم الاجتماعية والقواعد المكتسبة من البيئة. تعمل الأنا العليا على تطبيق ما تعتبره معايير المجتمع صحيحا، وغالبا ما تدفع الفرد إلى التصرف بعدالة وانضباط وأن يكون قدوة. أما الأنا العليا في شخصية الرئيسي في هذه الرواية وهو مصطفى، فيظهر في الأحداث التالية:

أ. مهذب ولطيف

عندما زار مصطفى بيت الشخصية أنا لاول مرة:

"سمعت نحنحة خارج البيت، فقمت فإذا هو مصطفى، يحمل بطيخة كبيرة، وزنبيلاً مملوءا برتقالاً، ولعله رأى الدهشة على وجهي، فقال: "أرجو ألا أكون أيقظتك من نوم. لكنني قلت أجيئك بعينة من ثمر الحقل، تذوقه. كذلك أحب أن أتعرف إليك. وقت الظهيرة ليس وقت زيارة. اعذرني" [٦٣]

تظهر الأنا العليا بشكل واضح جدًا في وعي مصطفى الأخلاقي تجاه القواعد الاجتماعية والأخلاقية السائدة في المجتمع. إن عبارة "وقت الظهيرة ليس وقت زيارة" تدل على أن الأنا العليا تؤدي دورًا في ربط القواعد الاجتماعية بآداب الزيارة المناسبة. إن اعتذار مصطفى يُعدّ تعبيرًا قويًا عن الأنا العليا. فالأنا العليا لدى مصطفى تولّد شعورًا بالذنب عندما يُدرك أن تصرفاته تخالف الأعراف الاجتماعية أو تُزعج راحة الآخرين. وعبارة "اعذرني" تدل على أن الأنا العليا تُفعّل الشعور بالندم والشعور بالواجب في تقديم الاعتذار.

إن وعي مصطفى بأن قدومه يزعج يدل على وظيفة الأنا العليا التي تأخذ بعين الاعتبار الأثر الأخلاقي لأفعاله على الآخرين. ومبادرة مصطفى في إحضار هدية متمثلة في "بطيخة كبيرة وزنبيلاً مملوءا برتقالاً" تُعدّ تعبيرًا عن الأنا العليا التي تُعلّم أهمية العلاقات المتبادلة وفعل الخير في العلاقات الاجتماعية. وفي هذا الاقتباس، يُظهر مصطفى أنا عليا

[٦٣] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٠.

UIN IMAM BONJOL PADANG

نشطة في تنظيم السلوك بناءً على المعايير الأخلاقية والاجتماعية، مما يُولد شعورًا بالذنب عند مخالفة تلك المعايير، ويدفع إلى اتخاذ خطوات للإصلاح من خلال تقديم الاعتذار.

ب. يقدّر المعرفة ويملك روح المسؤولية من أجل تقدم المجتمع

عندما جرى الحوار الأوّل بين مصطفى والشخصية أنا:

"لكن نحن مزارعون نفكر فيما يعنينا، إنما العلم، مهما كان، ضروري لرفعه الوطن" [٦٤]

يُظهر هذا الاقتباس أن مصطفى تهيمن عليه الأنا العليا. فعلى الرغم من أنه ينتمي إلى فئة الفلاحين، لم يكن ينظر بازدراء إلى خلفيته. بل كان يؤكد على أهمية المعرفة كوسيلة لتحقيق التقدم لأمته. ويعكس ذلك أن القيم الاجتماعية والشعور بالمسؤولية الجماعية متأصلة في شخصية مصطفى. وتبدو الأنا العليا في مصطفى واضحة من خلال نظرته التي لا تقتصر على مصالحه الشخصية، بل تهتم أيضًا برفاهية المجتمع بشكل أوسع.

مونولوج لشخصية أنا عندما شاهد مصطفى في اجتماع حول مخالفة توزيع المياه:

"دخلت عليهم وكان مصطفى بينهم، وكانوا يبحثون أمرًا يتعلق بتوزيع الماء على الحقول. ويبدو أن بعض الناس، ومنهم من هو عضو في اللجنة كانوا يفتحون الماء في حقولهم قبل الموعد المحدد لهم. واحتد النقاش وتصايحوا بعضهم على بعض، وفجأة رأيت مصطفى يهب واقفا. هدأ اللغط واستمعوا إليه باحترام زائد. وقال مصطفى إن الخضوع للنظام في المشروع أمر مهم وإلا اختلطت الأمور وسادت الفوضى، وأن على أعضاء اللجنة خاصة أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم، فإذا خالفوا القانون عوقبوا كبقية الناس. ولما فرغ من كلامه هز أغلب أعضاء اللجنة رؤوسهم استحسانا، وصمت من عناهم الكلام." [٦٥]

في هذا الاقتباس، يظهر مصطفى كشخص يُؤكّد على أهمية الالتزام بالنظام والانضباط بالقوانين، حتى إنه يصرّح بأنّ أعضاء اللجنة الذين يخرقون القواعد يجب أن يُعاقَبوا مثلهم مثل الآخرين، دون أيّ معاملة خاصة. وهذا يدل على أنّه يُقدّم مبدأ العدالة

[٦٤] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٢.

[٦٥] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٤.

UIN IMAM BONJOL PADANG

والمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية، وهي كلّها من السمات الأساسية لوظيفة الأنا العليا. كما يطلب مصطفى من القادة (أعضاء اللجنة) أن يكونوا قدوة للمجتمع، وهذا شكل من أشكال المثالية الأخلاقية. فهو لا يسعى وراء مصلحة شخصية (التي تُعبّر عن الهو)، ولا يكتفي بالتكيّف الاجتماعي (الذي يُمثّل الأنا)، بل يكّز تركيزًا حقيقيًا على القيم الأخلاقية والمسؤولية المشتركة. وبذلك، يبدو أنّ الأنا العليا لدى مصطفى قوي جدا في هذا الاقتباس. لقد أصبح ممثلا للصوت الأخلاقي والنظام الاجتماعي الذي يجب على الجميع الالتزام به دون استثناء.

ج. بارع في الحفاظ على صورته الذاتية

أنكر مصطفى ماضيه بعد أن سمعه الشخصية أنا يلقي الشعر باللغة الإنجليزية:

"أنا هو هذا الشخص الذي أمامك، كما يعرفه كل أحد في البلد. لست خلاف ذلك، وليس عندي شيء أخفيه."[٦٦]

يُعَدّ هذا الاقتباس تجليًا لهيمنة الأنا العليا في شخصية مصطفى، حيث يسعى للحفاظ على صورته الأخلاقية والاجتماعية أمام سكان القرية. ومن خلال هذا الاقتباس، يبدو أن مصطفى يخفي هويته وماضيه. فقد أكد أنه ليس سوى شخص يعرفه الناس، بسيط وصادق ولا يحمل أي أسرار. ومع ذلك، فإن هذا التأكيد يُعد إشارة إلى أنه يخفي الجانب الأعمق والمظلم من نفسه، والذي لا يعرفه أهل القرية. لم يكن صادقًا تمامًا، بل كان يحاول إقناع الآخرين كي لا يعرفوا حقيقته الكاملة.

عندما اشتد قلق مصطفى من انكشاف سره، طلب من الشخصية أنا أن يقسم على كتمانه:

[٦٦] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٧.

UIN IMAM BONJOL PADANG

"خفت أن تذهب وتتحدث إلى الآخرين. تقول لهم إنني لست الرجل الذي أزعم. فيحدث .. يحدث بعض الحرج، لي ولهم، لذا فإن لي عندك رجاء واحدا أن تعدني بشرفك، أن تقسم لي بأنك لن تبوح لمخلوق بشيء مما سأحدثك به الليلة" [٦٧]

يشير الاقتباس "خفت أن تذهب وتتحدث إلى الآخرين. تقول لهم إنني لست الرجل الذي أزعم. فيحدث .. يحدث بعض الحرج، لي ولهم،" إلى الجانب الداخلي من شخصية مصطفى، حيث يشعر بقلق شديد من انكشاف سره. إنه يخشى أن يعرف الناس أن شخصيته الحالية ليست حقيقته. هذا الخوف يدل على أن مصطفى يبذل جهدًا كبيرًا للحفاظ على صورته كي يبقى محترمًا في نظر المجتمع من حوله. إن القلق الذي يشعر به نابع من دافع أخلاقي واجتماعي داخلي، فهو يريد أن يُنظر إليه على أنه إنسان صالح، وكمواطن في القرية يستحق الاحترام. ولهذا السبب طلب من الراوي أن يقسم له، كي لا يُفشي السرّ الذي سيبوح به في تلك الليلة. هذا التصرف يبيّن أنه يضع اعتبارًا كبيرًا لرأي الناس فيه. إنه لا يريد أن تنهار الثقة والاحترام اللذان بناهما في القرية بسبب ماضيه.

لذا، فإن سلوك مصطفى في هذا الاقتباس يعبّر عن كيفية عمل الأنا العليا في داخله. إنه يشعر بضرورة إخفاء الحقيقة عن هويته لأن تلك الحقيقة تتعارض مع القيم والمعايير السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الآن.

UIN IMAM BONJOL PADANG

مصطفى يستعد لكشف السر ويسلّم الوثائق إلى الشخصية أنا:

فقال: "إنني أقسم لك بأن شيئًا مما سأقوله لك لن يؤثر على وجودي في هذا البلد، إنني رجل في كامل عقلي، مسالم، لا أحب لهذا البلد وأهله إلا الخير". لا أكتمك أنني ترددت لكن اللحظة كانت مشحونة بالاحتمالات وكان فضولي عارما ليس له حد. خلاصة القول إنني وعدت وأقسمت. فدفع مصطفى إلي برزمة أوراق وأوما لي أن أنظر فيها.[٦٨]

[٦٧] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٩.

[٦٨] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ١٩.

في هذا الاقتباس، تُظهر شخصية مصطفى سيطرة الأنا العليا. فعندما يقول: "إنني أقسم لك بأن شيئًا مما سأقوله لك لن يؤثر على وجودي في هذا البلد" فإنه يربط اعترافه مباشرةً بإمكانية تأثيره الاجتماعي. فالأمر ليس مجرد قلق شخصي، بل هو شكل من أشكال حماية الكرامة والمكانة الاجتماعية.

ثم عندما قال: " إنني رجل في كامل عقلي، مسالم، لا أحب لهذا البلد وأهله إلا الخير"، فإن هذا القول يعكس محاولة مصطفى لتقديم نفسه كشخص يلتزم بالقيم الاجتماعية ولا يتعارض مع الأعراف السائدة. كان يعيد بناء مكانته كشخص موثوق يهتم بالآخرين ويتصرف وفقًا لقيم الخير المشترك. بل إنه شعر بالحاجة إلى قول عبارات مقنعة، من خلال اعتراف أو وثيقة سيسلمها إلى شخصية أنا، والتي تحتوي على أمر عظيم وسري، إذ تتضمن تلك الوثيقة معلومات شخصية عن مصطفى.

د. مسؤول

عندما قرأ الشخصية أنا الرسالة التي كتبها مصطفى قبل وفاته:

"إنني أترك زوجتي وولدي وكل مالي من متاع الدنيا في ذمتك، وأنا أعلم أنك ستكون أمينا على كل شيء. زوجتي تعلم بكل مالي، وهي حرة التصرف. إنني واثق بحكمتها. ولكنني أطلب منك أن تؤدي هذه الخدمة لرجل لم يسعد بالتعرف إليك كما ينبغي. أن تشمل أهل بيتي برعايتك، وأن تكون عونا ومشيرا ونصيحًا لولدي، وأن تجنبهما ما استطعت مشقة السفر. جنبهما مشقة السفر. وساعدهما أن ينشأ نشأة عادية ويعملا عملاً مفيدًا."[٦٩]

في هذا الاقتباس، يتضح أن مصطفى تهيمن عليه الأنا العليا. فقد سلّم بوعي كامل المسؤولية عن زوجته وأطفاله وجميع ممتلكاته إلى الراوي الذي اعتبره قادرًا وجديرًا بالثقة. ويعكس هذا الموقف دافعًا أخلاقيًا في داخله لضمان أن تحظى أسرته بالإرشاد والحماية

[٦٩] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٦٠ و ٦١.

حتى بعد رحيله. لم يورّث مصطفى المال فقط، بل أوصى أيضًا بقيم الحياة من خلال طلبه أن يُرشد ابنه ليكبر بطريقة "عادية" ويعيش حياة "مفيدة."

تُظهر هذه الوصية أن مصطفى كان واعيًا تمامًا بأهمية التوازن في الحياة، وتربية الشخصية، والدور الأخلاقي في حياة أطفاله. لقد أراد أن يجنّب أسرته المعاناة والحياة المتنقلة بلا هدف، وهي حياة تُعبّر في الغالب عن تجربته الشخصية غير المستقرة نفسيًا. يُظهر هذا الاقتباس أنه في المرحلة الأخيرة من حياته، كانت الأنا العليا لدى مصطفى ذات تأثير بالغ. فقد طبّق القيم الأخلاقية والاجتماعية العليا، والتي تجسدت في اهتمامه برفاهية الآخرين، وخصوصًا أسرته، حتى بعد وفاته. لم تكن الرسالة التي تركها مجرد وصية مباشرة، بل كانت أيضًا تعبيرًا عن وعي أخلاقي عميق وإحساس داخلي قوي بالمسؤولية.

حديث بين حسنة (زوجة مصطفى) والشخصية أنا حول الرسالة الأخيرة التي أوصى بها مصطفى:

> "وتناهت إلى أذني صرخة طفل من مكان ما في الحي، وقالت حسنة: "كأنه كان يحس بدنو أجله. قبل اليوم، يوم .. قبل موته بإسبوع رتب كل شئونه. كانت له أطراف جمعها، وديون دفعها قبل موته بيوم دعاني وحدثني بما عنده قال لي أعطها له إذا حدث شيء. وقال لي إذا حدث شيء فأنت تكون وصيا على الأولاد قال لي : استشيريه في كل ما تفعلين بكيت وقلت له : إن شاء الله ما في عوج. فقال: فقط من باب الاحتياط والدنيا غير معروفة. في ذلك اليوم توسلت إليه ألا ينزل إلى الحقل والدنيا فيضان وغرق. كنت خائفة .لكنه قال: لا داعي للخوف، وإنه يجيد السباحة. كنت متوجسة طول اليوم وزاد خوفي حين تأخر عن ميعاده. وانتظرنا، ثم كان ما كان."[٧٠]

في هذا الاقتباس، يُصوَّر مصطفى كشخص هادئ ومدروس يُحضّر لموته بعناية. لم يكتفِ بترتيب أغراضه وتسديد ديونه، بل حرص أيضًا على ضمان مستقبل ولديه من خلال تعيين وصي وترك رسالة وصية. هذه الأفعال تدل على أن مصطفى لم يتصرف

---

[٧٠] طيب صالح، المراجع السابق.، ص. ٨٤ و ٨٥.

بدافع عاطفي أو رغبة شخصية، بل بدافع الشعور بالمسؤولية والوعي الأخلاقي تجاه من تركهم خلفه.

رسالته إلى حسنة بضرورة استشارة الشخصية أنا إذا حدث شيء، وحرصه على ترتيب كل شؤونه قبل وفاته، يدلان على أن الأنا العليا لدى مصطفى كان يعمل بقوة في هذه المرحلة من حياته. لم يعد مدفوعًا بالطموحات الشخصية أو الرغبات اللاواعية كما كان في شبابه، بل أصبح يتحرك بدافع الرغبة في التكفير، والتصحيح، وتحمل المسؤولية. وهذا تعبير عن وعي أخلاقي واعتراف بالحدود والموت، وهي كلها من مظاهر عمل الأنا العليا. وهكذا، فإن هذا الاقتباس يُعدّ صورة واضحة للتغير الداخلي الذي طرأ على مصطفى سعيد، من شخصية كانت تتحرك كثيرًا بدافع الهو والأنا، إلى إنسان صار في نهاية حياته موجّهًا أكثر بالضمير الأخلاقي والمسؤولية الاجتماعية. إنها أصدق تعبير عن سيطرة الأنا العليا عليه في أيامه الأخيرة.

بناءً على تحليل شخصية مصطفى سعيد في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح باستخدام نظرية التحليل النفسي لسيغموند فرويد، من بين اثنتين وعشرين حالة تم تحليلها، هناك سبع حالات تُظهر سيطرة الهو، وسبع حالات أيضًا تُظهر سيطرة الأنا، وثماني حالات تُظهر سيطرة الأنا العليا. تتسم شخصية مصطفى التناقض الوجداني، إذ إن في داخله جانبين متناقضين يوجدان معاً في الوقت نفسه. فهو يظهر بوصفه شخصاً ذكياً وذا هيبة، ولكنه في الوقت ذاته أسير للدوافع الغريزية التي تدفعه نحو التدمير. ويعكس هذا الصراع الداخلي التناقض بين الهو الذي يسعى إلى إشباع الغرائز والأنا العليا الذي يطالبه بالمسؤولية الأخلاقية، مما جعله شخصية مأساوية لا تفلت من معركتها النفسية أبداً.

مع تطور حياته، وخاصة بعد انتقاله إلى السودان وإقامته في القرية، بدأت سيطرة الأنا تظهر في شخصية مصطفى. فالأنا تعمل كوسيط بين دوافع الهو والمعايير الاجتماعية، موجهة مصطفى نحو أفعال عقلانية. ويتجلى ذلك من خلال القرارات الاجتماعية التي

UIN IMAM BONJOL PADANG

اتخذها بحذر، وقدرته على التكيف مع بيئة المجتمع القروي، ومساهمته في مشاريع التنمية، واتخاذ قرارات تراعي الواقع الاجتماعي من حوله.

في نهاية حياة مصطفى، ظهر الأنا العليا بوصفه البنية النفسية الأكثر سيطرة. ويتجلى الأنا العليا عند مصطفى من خلال وعيه الأخلاقي العالي، مثل اعتذاره عن قلة الأدب، وتقديره للعلم، وسعيه لتحقيق العدالة في توزيع المياه، وكذلك وصيته التي تتضمن وصايا بالمسؤولية تجاه الأسرة. فهو لم يترك ممتلكات مادية فحسب، بل ترك أيضًا قيما أخلاقية واجتماعية بوصفها إرثا. وكان للأنا العليا دور فعال في توجيه سلوكه نحو المسؤولية ومراعاة العواقب الصحيحة لكل فعل، حتى بعد وفاته.

كان مصطفى شخصية يسيطر عليها الهو في شبابه، ثم تطور ليصبح فردا أكثر عقلانية من خلال دور الأنا، وأخيرا أصبح إنسانا يتمتع بوعي أخلاقي واجتماعي قوي من خلال سيطرة الأنا العليا. وتعكس رحلة حياة مصطفى هذه أنه بالرغم من أنه كان خاضعا في الماضي للدوافع الغريزية المدمرة، فإنه استطاع أن يتغير، ولا سيما عندما بدأت القيم الأخلاقية والمسؤولية الاجتماعية تلعب دورا رئيسيا في تشكيل شخصيته.

UIN IMAM BONJOL PADANG

ج. تفاعلات الهو والأنا والأنا العليا تؤثر على مسار القصة

استنادًا إلى التحليل الذي تم عرضه سابقًا، يمكننا أن نرى أن التفاعل بين الهو والأنا والأنا العليا في شخصية مصطفى يصوّر رحلة نفسية شديدة التعقيد والديناميكية. فالصراع الداخلي الذي يعيشه هذا شخصية الرئيسية لا يكوّن شخصيته فحسب، بل يؤثر أيضًا بعمق على تطور أحداث القصة. إن العناصر النفسية الثلاثة التي طرحها سيغموند فرويد تتفاعل باستمرار داخل مصطفى، مما يخلق ديناميكية داخلية مليئة بالتوترات والغموض. ومن خلال هذا الصراع بين الدوافع الغريزية، والواقع الاجتماعي، والمطالب الأخلاقية، نُقدَّم صورة لشخصية غير ثابتة، بل تتطور بشكل ملحوظ مع مرور الزمن وتراكم تجاربه في الحياة.

أ. الهو (Id)

إن الهو في شخصية مصطفى يُعتبر مصدرا للدوافع الغريزية والرغبات غير المتحكم فيها، وخاصة الرغبة الجنسية والسعي وراء السلطة. عندما كان مصطفى شابا يعيش في لندن، كان هذا الجزء من الهو مهيمنا جدا. لقد أقام علاقات مع النساء الإنجليزيات ليس حبا، بل كوسيلة لإشباع شهواته وأداة لإظهار سلطته كرجل شرقي على المرأة الغربية. وبسبب تحكم الهو فيه، لم يأخذ مصطفى في الاعتبار تأثير أفعاله على الآخرين. ونتيجة لذلك، تعرضت عدة نساء كن معه لخراب الحياة، حتى وصل الأمر إلى الانتحار. هذا الخراب لم يكن مجرد خلفية لماضيه فحسب، بل أصبح أيضا عبئا نفسيا شكّل فيما بعد تطور القصة. وعلاوة على ذلك، فإن قراره المتسرع بالعودة إلى السودان دون تخطيط ناضج، بركوب السفينة دون وجهة واضحة، كان أيضا دافعا من الهو. هذا التصرف التلقائي أصبح بداية ظهور الصراع الرئيسي في القصة، لأن حضوره في القرية جذب انتباه شخصية أنا وخلق غموضا كُشف عنه تدريجيا.

ب. الأنا (Ego)

وفي الوقت نفسه، فإن الأنا عند مصطفى هي الجزء من شخصيته القادر على التفكير بشكل عقلاني واستراتيجي. بعد عودته إلى السودان، لم يعد يتصرف بتهور مثل أيام شبابه. بدأ يبني صورة جديدة لنفسه كمواطن عادي مهذب في القرية، مخفيا ماضيه المظلم وراء وجه ودود وسلوك محسوب بدقة. مكّنت الأنا مصطفى من العيش في هدوء واحترام في القرية، وكأنه جزء من المجتمع لا يخفي أي أسرار. هذه القدرة التي يمتلكها مصطفى في تكوين دوره الجديد هي التي جعلت القصة أكثر تشويقا. تُرك شخصية أنا في القصة يتساءل باستمرار عن حقيقة مصطفى. هذه الطبقات من الغموض تشكلت بفعل عمل الأنا، التي جعلت مصطفى يبدو منطقيا بل وحكيما في تصرفاته المختلفة، رغم أنه في الواقع كان يخفي الحقيقة عن نفسه. وبهذا الشكل، تعمل الأنا كمحرك سردي يعمق التوتر في القصة.

UIN IMAM BONJOL PADANG

ج. الأنا العليا (Superego)

مع مرور الوقت، ظهر أيضا جزء من مصطفى بدأ يُنادي بالقيم الأخلاقية، وهو الأنا العليا. في القصة، تطورت الأنا العليا عند مصطفى مع نموّ شعوره بالندم على ماضيه. بدأ يشعر بالذنب تجاه المعاناة التي سبّبها بأفعاله في شبابه. هذا الشعور بالذنب دفعه لأن يفتح قلبه لشخصية الأنا، يحكي له قصة حياته بصدق. بدون دافع من الأنا العليا ، قد لا يكون هذا الاعتراف قد حدث أبدا، وكان لغز مصطفى سيبقى أحجية. تظهر الأنا العليا أيضا في محاولاته لتحمل المسؤولية قبل موته. رتّب الميراث، وعيّن أوصياء لأطفاله، وسوّى أموره المالية، وكأنه يريد أن يترك الدنيا في سلام. كل هذا يُعتبر شكلا من أشكال الكفارة عن أخطاء الماضي، مما يقود القصة إلى نهاية ليست مؤثرة عاطفيا فحسب، بل ومعبّرة أخلاقيا أيضا.

تعمل هذه الأجزاء الثلاثة من الشخصية معًا لخلق قصة متكاملة وذات معنى. فالهو يخلق المشكلات والصراعات في البداية، والأنا يجعل القصة مشوقة بكل غموضها وتنكرها، أما الأنا العليا فيمنح النهاية معنى من خلال الفداء وتحمل المسؤولية. فبدون الهو لا تكون للقصة صراعات قوية، وبدون الأنا"تصبح القصة بسيطة جدًا وغير مشوقة، وبدون الأنا العليا تفتقر القصة إلى رسالة أخلاقية عميقة. إن هذه الأجزاء الثلاثة تكمل بعضها البعض، لتصنع قصة عن رجل يكافح جانبه المظلم ويسعى لأن يصبح إنسانًا أفضل. وهذا ما يجعل هذه القصة مثيرة، لأنها تجسّد صراع النفس البشرية بصورة واقعية جدًا. يظهر مصطفى كيف يمكن لهذه الأجزاء الثلاثة أن تتصارع وفي النهاية تجد التوازن.

UIN IMAM BONJOL PADANG